نعمة من السماء

قرأت لخبير أمريكى دائم الكتابة عن الزيت ومنافعه وما يعود على البلد التى وجد فيها من فوائد ، كتب يقول مامعناه أن الذهب الأسود قد حول الصحارى القاحلة الجدباء إلى جنان عدن ، كما أوجد فيها مدنا تحاكى مدن أمريكا فخامة وحسن بناء .

تذكرت بلدنا العزيز ، وأنا أقرأ هذه الكلمة فخيل إلى أن الكاتب الفاضل قد قصدها حقاً بكتابته هذه ، وأن الزيت قد جعل من الكويت البسيطة مدينة تفوق مدن أمريكا نظافة ونظاماً وأبهة ، فتراءى لى على الرغم منى أن أشد الرحال إليها لأمتع نفسى بتلك الجنات الخالدة .

هاهى ذى الطائرة تنزل بى فى مطار الكويت المدنى المبنى على أحدث طراز ، وهاهى ذى السيارة الفخمة التى تستقبل الزائرين لتقلهم إلى تلك الفنادق الشامخة التى تكاد تعانق السماء والتى لايستطيع الإنسان أن يميز آخر طابق فيها لما هى عليه من علو شاهق . . لقد سحرت وأنا أتجول فى شوارع المدينة لما أراه من تلك الطرق المستقيمة النظيفة التى تقوم على جوانبها العمارات العالية ، والقصور الأنيقة التى لايخلو أحدها من حديقة صغيرة غناء ملأى بأنواع الورود والرياحين ، . . فأخذت أسأل نفسى كيف توافر للكويتيين كل هذا الماء ليسقوا به هذه الحدائق الكثيرة فى حين أنهم كانوا فى زمن ليس ببعيد لايستطيع الحصول على القليل منه لشربهم إلا بعد جهد عظيم ؟ بيد أن أحد الأصدقاء همس فى أذنى عندما لاحظ استغرابى : إنه الزيت. إنه الزيت ذلك السائل السحرى الذى استطاع أن يوفر كل هذا وأكثر منه ، فهاأنت ذا ترى الماء يصل إلينا بأنابيب ، لاتكاد تدير صنبوراً حتى ينساب إليك ذلك الماء العذب المقطر الذى لايكلفك إلا ثمناً بخساً .

ياللسماء ! ! . ماهذه الحدائق العامة الأنيقة التى يختلف إليها الكويتيون بعد الانتهاء من أعمالهم ليستمتعوا بمنظر الخضرة ولينشقوا عبير الزهور . . وما هذه الموسيقى التى تصدع مشنقه الآذان بنغماتها الشجية ؟ .

إنى لأشعر بالفخر والاعتزاز وأنا أرى العامل الكويتى وقد وفرت له الشركة جميع أسباب الراحة والهدوء فى ذلك البيت الجميل الذى أقامته له على أحدث طراز ليأوى إليه وأسرته بعد الانتهاء من عمله المنظم فى آبار الزيت . .

أجل إن العامل الكويتى يعيش عيشة يحسده عليها الكثير من عمال البلاد الأخرى . . فهاهى ذى الشركة فتحت لأبنائه المدارس ليتلقى العلم فيها والمستشفيات ليتعالج فيها ، كما إنها تمادت فى إكرامه فأنشأت له النوادى الثقافية ليرتادها فى أوقات فراغه ، وجلبت له الأفلام المسلية ليروح بها عن نفسه ، كما ارسلت عدداً ليس بالقليل من أبنائه إلى أمريكا للدراسة وليحلوا فى المستقبل محل الموظفين الأجانب وبالأخص بعد انتهاء عقد الشركة . . وحتى الألعاب الرياضية لم يفت الشركة التى تسهر على صحة العامل أن تخصها بقسط وافر من عنايتها فأقامت الملاعب ونظمت الحفلات والمسابقات الرياضية ووفرت جميع الألعاب التى قد تخطر بباله .

لقد كان مما حيرنى فى هذه الرحلة وأثار إعجابى هو أن بلدتنا تنفق أموالا طائلة فى تنظيم الشوارع والحرص على نظافتها والعناية بالاشجار المغروسة على جوانبها . وعجبت كيف استطاعت البلدية أن تحصل على هذه المبالغ العظيمة ، فجعلت من الكويت بلداً ينطبق عليها قول الكاتب الامريكى الهمام ، ولكن عجبى لم يطل حين علمت أن البلدية تستغل أغلب الأموال التى تدفعها الشركة للكويت مقابل استثمار البترول .

وعدت من هذه الرحلة ، وأنا أحمد الله تعالى على هذه النعمة التى خصنا الله بهـــا ، بوجود الزيت فى الكويت ، ذلك الزيت الذى جعل منهـا — كما قال الكاتب المفضال — مدينة تحاكى المدن الأمريكية أبهة وجمالا . . .

هاشم عبد العزيز القطامى